

دِلَّةُ الضَّرِيحِ

لِحَدِيثِ أُمِّ نَزْرَةَ

تَأَلَّفَتْ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْفَضْلِ

الرَّافِعِيُّ الْقُرْظَوِيُّ

(ت ١٥٨٠)

ضَبَّطَهُ وَعَلَّنَاهُ عَلَيْهِ

مَشْهُورٌ حَسَنٌ سَامِعٌ

دَارُ ابْنِ خَزْمٍ

دُرَّةُ الضَّرِيحِ

لِحَكِيمِ شَامِ نَزْرَعِ

تأليف

محمد بن عبد الكريم بن الفضل

الرافعي القزويني

(ت ٥٨٠ هـ)

ضبطه نضه وعلمه عليه

مشهور حسن ساعمان

دار ابن خزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للناس

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

دار ابن خزم

بيروت - ص. ب: ١٤/٦٣٦٦ للطباعة والنشر والتوزيع

المقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد شرح حديث أم زرع جماعةً من أهل العلم،
منهم:

— إسماعيل بن أبي أويس، شيخ البخاري.

— وأبو عُبَيْد القاسم بن سلام في «غريب الحديث».

وتعقب عليه فيه مواضع: أبو سعيد الضرير
النيسابوري، وأبو محمد بن قتيبة الدينوري، كل منهما
في تأليف مفرد.

وشرحه أيضاً:

— الخطابي في «شرح البخاري».

- وثابت بن قاسم .
- والزيبر بن بكار .
- وأحمد بن عبيد بن ناصح .
- وأبو بكر بن الأنباري .
- وإسحاق الكاذي في «جزء مفرد»، وذكر أنه جمعه عن يعقوب بن السُّكَّيت وعن أبي عبيدة وعن غيرهما .
- وأبو القاسم عبدالحكيم بن حبان المصري .
- والزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» .
- ثم القاضي عياض في «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد»، وهو أجمعها وأوسعها، وأخذ منه غالب الشراح بعده^(١) .
- وممن شرحه أبو الفضل محمد بن عبدالكريم بن الفضل الرافعي القزويني في كتابنا هذا .
- وقد استفاد من الكتب التي سبقتة، فإنه التقط فوائدها، ورتبها ترتيباً بديعاً، وراعى فيه الإيجاز والاختصار، قال رحمه الله تعالى :

(١) راجع: «فتح الباري»: (٢٥٥/٩ - ٢٥٦) .

«واعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة، وفيما أوردناه ما يحوي معظمه»^(١).

قلت: ورجعت إلى شرح أبي عبيد والزمخشري والقاضي عياض وابن حجر على الحديث، ولخصت ما فات المصنف، وأودعت ذلك في الهوامش، ولعل في بعضها طويلاً، ولكن لم تعدم الفائدة منها إن شاء الله تعالى.

وكتابتنا هذا أودعه ابن المصنف عبد الكريم في كتابه «التدوين في أخبار قزوين»^(٢)، فإنه ذكره في آخر ترجمة والده ضمن كتابه المزبور، وأطلق عليها: «القول الفصل في فضل أبي الفضل» وختمها بـ «فصل في روايته»، فقال رحمه الله تعالى:

«رأيتُ أن أورد من رواياته حديثاً منعوتاً، فوقع الاختيار على حديث أم زرع الطويل ذيله، الجزيل نيله، ومن أراد من الناظر من أفراد الحديث بشرحه،

(١) انظر (صفحة ٢١).

(٢) في المجلد الأول (الصفحات ٣٥١ - ٣٧٢).

فليكتب: . . . وسرده»^(١).

فوقع في قلبي أن أفرد كلام المصنف على هذا الحديث بكتابٍ مستقل، لما لهذا الحديث من الأهمية، ولما لشرحه من المميّزة والخاصية، فهو سهل العبارة، ليس بالطويل الممل، ولا بالمختصر المخلّ، وذكر فيه جملةً من الفوائد الفرائد، التي يحسن بطلاب العلم أن يقفوا عليها، ويجدر بهم أن يستفيدوا منها، فإن «في كلام هؤلاء النسوة من فصاحة الألفاظ، وبلاغة العبارة والبدیع ما لا مزيد عليه، ولا سيما كلام أمّ زرع، فإنه - مع كثرة فصوله وقلة فضوله - مختار الكلمات، واضحات السّمات، نيرّ النسّمات، وقد قدرت ألفاظه قدر معانيه، وقررت قواعده وشيدت مبانيه، وفي كلامهن - ولا سيما الأولى والعاشرة أيضاً - من فنون التشبيه والاستعارة والكناية والإشارة والموازنة والترصيع والمناسبة والتوسيع والمبالغة والتسجيع والتوليد وضرب المثل وأنواع المجانسة وإلزام ما لا يلزم والإيغال والمقابلة والمطابقة والاحتراس وحسن التفسير والترديد وغرابة التقسيم وغير ذلك أشياء ظاهرة لمن تأملها، وكمل ذلك أن غالب

(١) التدوين في أخبار قزوين: (١/٣٥١).

ذلك أفرغ في قالب الانسجام، وأتى به الخاطر بغير تكلف، وجاء لفظه تابعاً لمعناه، منقاداً له غير مستكره ولا منافر، والله يَمَنُّ على مَنْ يشاء بما شاء، لا إله إلا هو»^(١).

هذا وقد وقع بعض التصحيف في الأصل الذي نشرتُ عنه هذا الكتاب. نبهتُ على بعضه في مكانه، وقد قمتُ بتخريج الحديث، وعزو الآيات إلى السور وأرقامها من القرآن الكريم، وفصلتُ الكلام على الغريب، وأجملتُ مجمل معنى كلام النسوة الوارد في الحديث، وأسهبْتُ في ذكر الفوائد والعبر المستنبطة منه، معتمداً في ذلك كله على كلام العلماء السابقين، من أشهرهم: أبي عبيد والقاضي عياض والزمخشري وابن حجر، وكنتُ أقوم بتهذيب كلامهم في بعض الأحاديث، وإبرازه في نقاط محددة محصورة، فإن ذلك أيسر وأسهل، فليكن هذا على بالك، فإنك لو قُلْتَ لما أودعته من الهوامش والتعليقات: عُدَّ إلى مكانك وأصلك، فما بقي لي إلا النذر اليسير، إذ لا تحتمل هذه المادة إلا ذلك، والله وليُّ التوفيق، وهو الهادي إلى

(١) من كلام القاضي عياض في «بغية الرائد»: (١٨٦ - ١٨٧).

سواء السبيل، وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم.

المحقق

ترجمة المصنف

* اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

كناه أبواه بأبي الفضل رعاية لاسم جده، وأما اسمه، فقد قاله ابنه عبدالكريم :

«رأيتُ في آخر مختصرات كتبها في سنة سبع وعشرين وخمس مئة: وكتب رافع بن عبدالكريم بن الفضل، ثم بدّله بأحمد، ورأى موافقة اسم النبي ﷺ أولى، فرأيتُ في سماعاته وتعاليقه القديمة: أحمد بن عبدالكريم، ثم استقر اسمه بعد ثلاث سنين أو أربع من أول تفقّحه على محمد».

وكان يلقب في صغره بابويه على ما يعتاده أهل قزوين من التلقيب بـ «(بابا) و(بابويه)»، يعنون أنه سميُّ جدّه، ويحبّون ذكر الجدّ بالحافد، وبقي عليه ذلك، إلا أنه كان يكرهه، ويذكر أن عمّة له كانت ترقّصه به في صغره، فاشتهر به.

والرافعية من أولاد العرب الذين توطنوا قزوين في

عهد التابعين أو أتباعهم، وكان منهم هناك جماعة من
العدول والقضاة وأهل العلم.

* ولادته ونشأته وطلبه للعلم ورحلاته وشيوخه :

ولد أبو الفضل سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة
وخمس مئة، وتوفي أبواه وهو صغير، واحتضنه جده من
قبل أمه الشيخ الزاهد أبو ذر رحمه الله، وكان من
عباد الله الصالحين، ونقل المصنف من محلة آبائه في
طريق صامغان، إلى دار جده في المدينة العتيقة، وقام
بتسليمه إلى المكتب، وتعليمه وتأديبه، ورباه أحسن
تربية، بأطيب مكسب، وكان له حنين إلى تلك الدار
التي نشأ فيها.

ولما خرج من الكتاب، وهو في حدّ الصغر، ذهب
به جده إلى مفتي البلدة وإمام أئمتها أبي بكر
ملكداد بن علي العمكري - رحمه الله تعالى -، وعرضه
على عرض أم سليم أنساً - رضي الله عنه - على
رسول الله ﷺ، وسأله أن يعلمه ما يحتاج إليه، ويأذن له
في ملازمته في البيت، وخارج البيت، فتقبله بقبولٍ
حسن، احتراماً لذلك الشيخ، فعلق عليه المذهب
والخلاف، وسمع عليه الحديث الكثير، وكانت شفقتة
عليه شفقة الوالد على ولده.

وبقِيَ أبو الفضل ملازماً شيخه العمكري حتى
 انتقل شيخه إلى جوار ربه، وهو مع ذلك كان يتردد
 على غيره من الأئمة من أهل بلده ويتباحث معهم،
 منهم: علي بن الشافعي بن داؤد والإمام أبو سليمان
 الزبيدي. وتَسَنَّتْ لأبي الفضل الرّحلة في طلب العلم
 بعد وفاة شيخه العمكري، فسافر إلى الري سنة خمس
 وثلاثين وخمس مئة في صفر، واشتغل بتعليق الخلاف
 على الإمام أبي نصر حامد بن محمود الخطيب، وسمع
 الحديث منه، ومن غيره كالحسن بن محمد الغزال
 البلخي والقاضي الحسن بن محمد الأسترابادي
 وغيرهما، ثم عاد إلى قزوين في آخر شوال السنة، ثم
 خرج إلى بغداد في رمضان سنة ست وثلاثين وخمس
 مئة، وعلق على جماعة من فقهاؤها، منهم: يوسف
 الدمشقي وأبو مشهور الرزاز وأبو نصر المبارك بن
 المبارك وأحمد بن يحيى الزهري، وسمع بها الحديث
 الكثير، وحصل من كل فن. وحج منها سنة ثمان
 وثلاثين وخمس مئة، وعقد المجالس في التاجية، في
 صفر سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة.

خرج منها على قصد نيسابور في شهر ربيع الأول،
 من هذه السنة، وبقِيَ في الطريق شهراً، ودخل نيسابور
 في رمضان السنة، وأقام مدة عند الإمام محمد بن

يحيى، وكانت له الدولة وقتئذ، وعليه إقبال الطلبة، وكان يعدّ الكمال في تلامذته، والشريف مَنْ حضر درسه، والرشيد من فاز ببلقائه، وسمع بها الحديث من مشايخها، وسمع بطوس وآمل وغيرها من جماعة، وعاد إلى قزوين في صفر سنة تسع وأربعين وخمس مئة.

* تدريسه وتلاميذه:

وبعد عوده إلى قزوين فوض إليه الإمام أبو عبد الله الخليلي التدريس في مدرسته، وعيّنت له الحظيرة المنسوبة إليه في الجامع، وابتدأ بالتفسير فيها في أواخر ربيع الأول من السنة، وأقبلت عليه المتفهمة وأولاد المعارف، وكان ينتابه جماعة من أهل العلم والصلاح زرفاناً ووحداناً، يتلقّفون منه الفقه والكلام بالفارسية.

وممن درس عليه وسمع منه بقزوين: بنوه الثلاثة: عبدالكريم ومحمد وعبدالرحمن، وخالاهم محمد وعمر ابنا سعد بن أحمد الزاكاني، والقضاة عمر وعلي ومحمد وسعد وعبدالعظيم بنو عبد الحميد بن عبد العزيز بن إسماعيل المالكي، ومحمد بن أسعد بن محمد العاقل، وجماعة.

* مدحه والثناء عليه ومعرفته بالفنون :

كان رحمه الله تعالى فقيهاً، مناظراً، فصيحاً، حسن اللهجة، صحيح العبارة، جيد الإيراد، يستعين في المناظرة بالأمثال السائرة، ويأتي بالاستعارات المليحة، وكان مفتياً، مصيباً، محتاطاً في الفتيا، متكلماً محققاً في قواعد الكلام، ماهراً في تطبيق المنقولات.

وأما علوم الكتاب والسنة فهي فنه، لا ينكر حفظه وتبحره فيها، فكان جيّد الحفظ في كل باب حتى في الأمثال والأشعار والتواريخ وال نوادر.

وكان أساتذته يعتمدون قوله، ويرجعون إليه فيما يقع من التصحيفات في أسامي الرجال، ومتون الأحاديث.

* مصنّفاته :

له في التفسير: كتاب «التحصيل في تفسير التنزيل» وهو كتاب كبير، يشتمل على ثلاثين مجلّدة في نسخة الأصل، أورد فيه الأقوال التي تتضمنها التفاسير المشهورة، ووجوه القراءات المشهورة وعللها، وما يتعلق بالنظم والمعنى، وشحنها بالأحاديث وحكايات

المشايع، على الطرز الذي اعتيد عقد الحلقة له بقزوين في مواضع من المسجد الجامع.

وصنّف في الحديث: «حاوي الأصول من أخبار الرسول ﷺ» ضمّنه معظم الأحاديث التي يشتمل عليها ثمانية من الأصول: «موطأ مالك» و«مسند الشافعي» و«الصحيحان» و«جامع الترمذي» و«سنن أبي داود» و«سنن النسائي» و«سنن ابن ماجه». وله أيضاً.

— «تحفة الغزاة ونزهة الهداة».

— و«فضائل الشهور»: شعبان ورمضان ورجب.

— و«جمع الأخبار الواردة في تلقين المحتضر والميت وزيارة القبور».

وجمع فهرست مسموعاته، وأورد فيه من كل كتاب من الكتب المشهورة حديثاً، وأورد عن كل شيخ ثلاثة أحاديث وحكاية وشعراً.

* وفاته:

مات أبو الفضل في سحر ليلة الأربعاء، السابع من شهر رمضان، سنة ثمانين وخمس مئة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[المقدمة]

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِعِ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ، الْمُؤْتِنِ بَعْدَ
الْإِبْدَاعِ بِالضَّرْعِ وَالزَّرْعِ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ
الْمَخْصُوصِ بِأَوْسَعِ الذَّرْعِ، وَأَتَّبِعِ الشَّرْعَ، وَبَعْدُ:
فَهَذِهِ «دِرَّةُ الضَّرْعِ» لِحَدِيثِ «أُمَّ زَرْعٍ» أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَنْفَعَهَا بِهَا مَنْ يَرَاغِبُهَا، وَيَقِفُ عَلَيْهَا وَيَطَالِعَهَا.

[نص الحديث]

قرأت على الإمام والدي - رحمه الله - سنة ثلاث وستين وخمسائة: أخبركم الحسن الغزال، أنبأ أحمد بن محمد الزيادي، أنبأ علي بن أحمد الخزاعي، أنبأ الهيثم بن كليب، ثنا محمد بن عيسى، ثنا علي بن حُجر، أنبأ عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أخيه عبد الله بن عروة [عن عروة]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلست إحدى عشرة امرأة [ف] تعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً:

قالت الأولى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٌ، لَا سَهْلٍ فِيرْتَقَى، وَلَا سَمِينٍ فَيَنْتَقَى أَوْ يَنْتَقِلُ.

قالت الثانية: زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذْرَهُ، إِنْ أَذَكَرَهُ [أَذَكَرَهُ] عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ.

قَالَتِ الثَّلَاثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنُّ، إِنْ أَنْطَقَ أُطَلِّقُ، وَإِنْ
أَسْكُتَ أُعَلِّقُ.

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلٌ تِهَامَةٌ، لَا حَرٌّ وَلَا قَرٌّ،
وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ.

قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فِهْدٌ، وَإِنْ خَرَجَ
أَسِيدٌ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدٌ.

قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفٌّ، وَإِنْ شَرِبَ
أَشْتَفُّ، وَإِنْ أَضْطَجَعَ التَّفُّ، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفُّ لِيَعْلَمَ الْبَثُّ.

قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي عَيَاءٌ - أَوْ غَيَاءٌ - طَبَاقَاءٌ،
كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجْكٌ أَوْ فَلَكَ، أَوْ جَمَعَ كَلَّالِكٌ.

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنبٍ، وَالرِّيْحُ
رِيْحُ زَرْبٍ.

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ،
طَوِيلُ النَّجَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ.

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ، وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ
خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبْلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ
الْمَسَارِحِ، إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أُيَقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكٌ.

قالت الحادية عشرة: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وما أبو
زرع! أَنَسٌ مِنْ حُلِيِّ أُذُنِي، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي،
وَبَجَّحَنِي فَبَجَّحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَوَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ
بِشِقِّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ، وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ،
وَمُنَقٍ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَأُقْبِحُ، وَأَرْقُدُ فَاتَّصِبِحُ، وَأَشْرَبُ
فَاتَّقَمِّحُ.

أُمُّ أَبِي زَرْعٍ وما أُمُّ أَبِي زَرْعٍ! عَكُومُهَا رَدَاخُ،
وَبَيْتُهَا فَيَاخُ.

ابن أبي زَرْعٍ وما ابنُ أبي زَرْعٍ! مَضْجَعُهُ كَمَسَلٌ
شَطْبَةٌ، وَيَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ.

بنتُ أبي زَرْعٍ، وما بنتُ أبي زَرْعٍ! طَوْعُ أَبِيهَا
وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلُّ كِسَائِهَا، وَعَيْظُ جَارَتِهَا.

جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، وما جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ! لَا تَبْتُ
حَدِيثَنَا تَبِيشًا، وَلَا تَنْقُتُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلَا تَمَلَأُ بَيْتَنَا
تَعْشِيثًا.

قالت: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ، وَالْأَوْطَابُ تَمَخَّضُ، فَلَقِي
امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا

بِرُمَانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا،
رَكِبَ سَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيئًا، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا،
وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا؛ وَقَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ
وَمِيرِي أَهْلَكَ.

[قالت]: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ
أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ.

قالت عائشة: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ لِكَ أَبِي زَرْعٍ لَأُمَّ زَرْعٍ»^(١).

وقرأ عليه رحمه الله في «غريب الحديث» لأبي
عبيد: أخبركم الحافظ سعد الخير بن محمد المغربي،
أنبا أبو محمد السراج، أنبا أبو علي بن شاذان، عن
دعلاج، عن علي بن عبدالعزيز، عن أبي عبيد، ثنا
حجاج، عن أبي معشر، عن هشام بن عروة وغيره من
أهل المدينة، عن عروة، عن عائشة من كلام النبوة^(٢)
كما في الرواية الأولى، لا يختلفان إلا في ألفاظ
يسيرة، والحديث صحيح، بالاتفاق.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث»: (٢/٢٨٦ - ٢٨٩).

[تخریجه]

أخرجه البخاري في كتاب النكاح^(١) عن سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي وعلي بن حُجر.

ومسلم^(٢) عن علي بن حجر وأحمد بن جَنَاب بروايتهم عن عيسى بن يونس؛ ورواه سعيد بن سلمة بن أبي الحسام وسويد بن عبدالعزيز عن هشام، وأدخله بين هشام وبين أبيه عروة أخاه عبدالله^(٣)، كما أدخله

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩): في النكاح: باب حسن المعاشرة مع الأهل، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة»: (١٦٩/٩) رقم (٢٣٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٨): في فضائل الصحابة: باب ذكر حديث أم زرع.

وأخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٢٥١) ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» رقم (٢٣٤٠) من طريق علي بن حجر، وأبو يعلى في «المسند»: (١٥٤/٨) رقم (٤٧٠١) من طريق أحمد بن جَنَاب كلاهما عن عيسى بن يونس به.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٤٨) وما بعده دون رقم، وعلي بن المديني في «تسمية من روى عنه من أولاد العشرة» (١٤٣) والطبراني في =

عيسى بن يونس^(١).

وآخرون روهه عن هشام عن أبيه من غير إدخال
عبدالله بينهما، كما ذكرنا في رواية أبي عبيد^(٢) منهم:
أبو معاوية، وأبو أويس، وعقبة بن خالد،
وعبدالرحمن بن أبي الزناد، وعبدالعزیز الدراوردي^(٣)،
وإدخاله بينهما أصح.

وكما وقع الاختلاف في الإسناد وقع في المتن.

= «الكبير» (٢٣ / رقم ٢٦٥) من طرق عن موسى بن إسماعيل
حدثنا سعيد بن سلمة عن هشام به.

(١) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني: (٢٣ / رقم ٢٦٦).

(٢) انظر: «الفائق في غريب الحديث» (١ / ١٧٧) و«غريب
الحديث» لأبي عبيد: (٢ / ٢٩٠).

(٣) انظر رواية هؤلاء وغيرهم عن هشام عن أبيه من غير إدخال
عبدالله بينهما في: «مسند أبي يعلى» (٨ / ١٦٠) رقم (٤٧٠٢)
و«المعجم الكبير» للطبراني: (٢٣ / رقم ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١،
٢٧٤).

[الكلام على رفعه ووقفه]

فمنهم من وقف بعضه على عائشة ورفع بعضه،
كما في الرواية المسبوقة أولاً.

ومنهم من رفع الجميع: فعن موسى بن إسماعيل
عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام، عن هشام بن
عروة، عن أخيه، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنتُ لكِ كَأبي
زَرَعٍ لَأُمَّ زَرَعٍ»، ثم أنشأ يحدث بحديث أم زرع
وصواحبها، وحكى أولاً قول التي قالت: زوجي عياياء،
والتي قالت: زوجي لحم جمل غث، والتي قالت:
زوجي العشتق، والتي قالت: زوجي إذا شرب اشتفَّ،
والتي [قالت:] زوجي لا أبتُ خبره. قال عروة: هؤلاء
خمسة يشكون.

في غير هذه الرواية: اجْتَمَعَ نِسْوَةٌ ذَوَامٌ وَنِسْوَةٌ
مَوَادِحٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ بِمَكَّةَ، وَكَانَ الْمَوَادِحُ سِتًّا وَالذَوَامُ خَمْسًا.

عن الزبير بن بكار - بروايات مختلفة - قال : حدثني محمد بن الضحاك الخزامي ، عن عبدالعزيز بن محمد الدراوردي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : دخل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي بعض نسائه ، فقال : «يا عائشة ، أنا لك كأبي زرع لأم زرع» قلت : يا رسول الله ، وما حديث أبي زرع لأم زرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن من قريةٍ من قُرى اليمنِ كان بها بطن من بطون أهل اليمن ، وكان منهنَّ إحدى عشرة امرأة ، وإنهنَّ خرجن إلى مجلس من مجالسهنَّ ، فقال بعضهم لبعض : تعالين ، فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، ف قيل للأولى : تكلمي ، فقالت : الليل ليل تهامة والغيث غيث غمامة ولا حرّ ولا قرّ .

قالت الثانية - وهي عمرة بنت عمر وفي اسم الرابعة فهذه بنت أبي هزيمة وزاد فقال اسم أم زرع عاتكة .

[أَسْمَاؤُهُنَّ]

واعلم أنه حُكي عن ابن دريد أسماؤهن مرتبة على رواية عيسى بن يونس المذكورة أولاً، وفي ترتيبهن في الروایتين تفاوت بين:

– التي قالت: زوجي لحم جمل غَثٌّ؛ هي الأولى في تلك الرواية، والرابع في الرواية الأخيرة.

– والتي قالت: زوجي لا أبْتُ خبره؛ هي الثانية في تلك الرواية، والتاسعة في الرواية الأخيرة.

فلا يصح أخذ أسماؤهن على ذلك الترتيب، من المذكور في الرواية الأخيرة، بل ينبغي أن يقال اسم واحدة منهن كذا وواحدة كذا، أو ينظر في الترتيبين، فيطبق أحدهما على الأخرى ويقضى بموجه.

[قول الأولى]

قولها: لَحْمٌ جَمَلٍ غَثٌّ: أي مهزول^(١)، يقول:
غثت يا جمل تغث، وغثت تغث غثاة وغثوة، وأغث
اللحم أيضاً.

الوَعْر: الذي لا يوصل إليه إلا بتعب ومشقة.

والانتقاء: استخراج النقي من العظم، وهو المَخ؛
وذكر أن المقصود هاهنا هو الشحم وأنه يجوز أن يكون
المعنى: أنه يرغب فيه ويختار، يقال: انتقيت الشيء
أي تخيرته. والانتقال بمعنى التناقل، كالاقتسام بمعنى
التقاسم؛ وقيل: انتقل ونقل واحد أي ليس بسمين
يرغب الناس فيه ويتناقلونه إلى بيوتهم. وينتقى وينتقل
روايتان مشهورتان، وقد يُجمع بينهما على الشك.

غرض المرأة وصف زوجها بقلّة الخير، وبُعده مع
القلّة، وشبهته باللحم الغثّ الذي لا نقي فيه، أو الذي

(١) ويؤيده قولها بعده: «لا سمين فينتقى».

لا ينتقله الناس إلى بيوتهم، لزهدهم فيه، ومع ذلك هو على رأس جبل صعب لا يوصل إليه إلا بتعب.

وقولها: (لا سهل فيرتقي)، من صفة الجبل؛
وقولها: (ولا سمين فينتقى أو ينتقل)، من صفة اللحم.

ذكر الخطابي أنها أشارت ببُعْدِ خَيْرِهِ إلى سوء خلقه، وترفعه بنفسه تيهاً^(١)، وأرادت أنه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته وأهله، ويقولها: (ولا سمين فينتقل) إلى أنه ليس في جانبه طرف وفائدة، يحتمل بذلك سوء عشرته له^(٢).

ويروى بدل لحم جمل غث: لحم جمل قحرق، وهو المسن المهزول.

قال أبو بكر بن الأنباري: ويروى (على رأس قوز وعث) القوز: رمل مرتفع يشبه الراية، والجمع أقواز^(٣) و(الوعث) الذي لا تثبت القدم فيه لسيلانه وسهولته^(٤).

(١) في الأصل: «فيها»، والتصويب من «بغية الرائد»: (٤٨).

(٢) في الأصل: «عشيرته»، والتصويب من «بغية الرائد»: (٤٨).

(٣) وقيزان وأقاوز.

(٤) واستعمل (الوعث) لكل ما شق، ومنه «وعشاء السفر»، أي: شدته ومشقته.

ذكر في «الصَّحاح» أن القوز: الكثيب الصغير^(١).
ويروى مع ذلك (ليس بلبد فيتوقل) واللبد:
المستمسك الذي ليس هو بسائل ولا منهال، والتوقل:
الإسراع في المشي، يقال: توقل الوعل في الجبل.

(١) راجع «الصَّحاح»: مادة (قوز).

[قول الثانية]

قول الأخرى: زوجي لا أبتُّ خَبْرَهُ، أي لا أظهره
ولا أشيعه.

والعُجْر: جمع عجرة، وهي العقد في الأعصاب
والعروق المجتمع تحت الجلد.

والبجر: جمع بجرة، وهي انتفاخ يحصل في
البطن والصُّرَّة، يقال منه: رجل أبجر وامرأة بجراء؛
وقيل: العجر في الظهر خاصة، والبجر في البطن؛
وقيل: العجر في الجنب والبطن، والبجر في السرة^(١).

وغرضها أني لا أنشر خبره كيلا يفتضح^(٢).

(١) من أمثال العرب «لقي فلان فلاناً فأبَّته عجره وبجره»، أي:
أسراره.

(٢) قال أبو سعيد النيسابوري: «إنما عنت أن زوجها كثير العيوب،
متعقد النفس عن المكارم»، راجع «بغية الرائد»: (٦٠).

ومرجع الكناية في قولها: (أن لا أذره)^(١) فيه قولان:

– أحدهما: أنها ترجع إلى الخبر، والمعنى: إني أخاف أن لا أقطع لكثرة عيوبه، وسعة مجال المقال، وقيل: معناه لا أترك منه شيئاً.

– الثاني: أنها ترجع إلى الزوج، أي هو مع كونه حقيقةً بالمفارقة أخاف أن لا أفارقه لما بيننا من العلق والأسباب^(٢).

وبالأول قال ابن السكيت^(٣)، ويشهد له رُوي في بعض الروايات أنها قالت بعده: (ولا أبلغ قدره).

(١) في الأصل: «واللام يرجع الكناية في قولها: «أن لا أذن»!!» .
(٢) وتكون (لا) على هذا القول زائدة، فيكون (أذره) عليه: أفارقه، ويحتمل على رجوع الهاء إلى الزوج تأويلاً آخر: أي: إني إن أخبرت بشيء من عيوبه ونقائصه، أفضي إلى ذكر شيء آخر أقبح منه، وقد عاهدت صواحبها أن لا تكتم شيئاً من صفاته عنهن، فهذه كرهت ما تعاهدت عليه معهن، وذهبت إلى ستر عيوب زوجها لكثرتها، ولم تر أن تذكر بعضاً دون بعض، وإنها إن ذكرت شيئاً تسبب ذكر شيء آخر، فرأت الإمساك أولى. انظر: «بغية الرائد»: (٦١).

(٣) وبالثاني قال أحمد بن عبيد بن ناصح (ت ٢٧٣ هـ)، ويعرف بـ «ابن عصيدة».

وأرادت بالعجر والبجر: عيوبه الباطنة وأسراره.
يُروى أن علياً رضي الله عنه لما رأى طلحة
رضي الله عنه صريعاً قال: (إلى الله أشكو عُجري
وَبُجري) يريد همومي وأحزاني.

[قول الثالثة]

قول الثالثة: زوجي العَشَنُّق، العَشَنُّق: الطويل^(١)،
وقيل: الطويل العُنُق، تريد أن له طولاً بلا نفعٍ ومنظراً
بلا مخبر، فإن نطقت بما فيه طَلَّقَهَا، وإن سَكَّتْ تركها
معلَّقةً: لا كذواتِ الأزواج ولا كالأيامي.

ويروى بعد ذلك: (على حد سنان مذلق) والمذلق:
المحدَّد، أي: بقيت معه على حدِّ سنان^(٢).

عن إسماعيل بن أبي أويس وغيره: أن العشنق
المقدام الشرس، وعلى هذا فما بعده بيان له. وحكى

(١) هذا تفسير أبي عبيد في «الغريب»: (٢/٢٩١)، وخطأه في ذلك
عبد الملك بن حبيب، وقال: «العشنق: المقدام على ما يريد،
الشرس في أموره، بدليل بقية وصفها له» وقال أبو سعيد
النيسابوري قولاً يجمع التفسيرين، قال: «العشنق: الطويل
النجيف، الذي ليس أمره إلى امرأته، وأمرها إليه، فهو يحكم
فيها بما يشاء، وهي تخافه»، من «بغية الرائد»: (٦٣).

(٢) أرادت أنها لا تجد معه قراراً، وأنها معه على حذر، كمن هو
على طرف السنان، أو أنه هو لهوَّجِه لا يستقرَّ على حالة.

أبو بكر بن الأنباري عنه أن العشنق: القصير، ونسب
فيه إلى التصحيف، وذكر أنه إنما قال: الصقر المقدم
الجريء^(١).

(١) راجع «بغية الرائد»: (٦٣).

[قول الرابعة]

قول الرابعة: زوجي كليل تهامة... إلى آخره.

تهامة: ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز.

والقر والقررة: البرد، ويقال: قررتُ، أي: أصابني البرد، والسامة: الملل.

وليل تهامة طلق لا يؤذي بحرًا ولا برد، فشبهته به في خلوه من الأذى والمكروه.

وقولها: ولا حرّ ولا قرّ قيل معناه: ولا ذو حر ولا قر، كما يقال: فلان عدل، أي ذو عدالة. وقيل: يحتمل أن تريد لا حر فيها ولا قر.

قولها: ولا مخافة ولا سامة؛ أي: ليس فيه خلق أخاف بسببه منه، أو ساء مني أو أساء منه.

ويروى: (ولا مخافة ولا وخامة)، والوخامة: الثقل، يقال: طعام وخيم أي ثقيل، وزاد بعضهم: (ولا يخاف خلفه ولا أمامه).

قال ابن الأنباري: معناه إن ساكني تهامة لا يخافون من خلفهم ولا أمامهم لامتناعهم بالجبال وتحصنهم فيها^(١).

(١) نقله عن ابن الأنباري: القاضي عياض في «بغية الرائد»: (٦٩). وزاد: «ويحتمل عندي أن ترد «خلفه» و«أمامه» على زوجها، أي: إنه مأمون، لا تخشى مضرتَه من جهة من جهاته». وأفاد أن معنى كلامها: وصفته بحسن صحبتها، وجميل عشرتها، واعتدال حاله، وسلامة باطنه، وثقتها به، وضربت المثل بليل تهامة لأن تهامة من بلاد الحجاز - مكة وما ولاها، بلاد حارة راكدة الريح، وبهذا سميت تهامة.

[قول الخامسة]

قول الخامسة: زوجي إن دخل فهد؛ أي: كان كالفهد، قيل: وصفته بلين الجانب، لأن الفهد لين المس، كثير السكون، وقيل: وصفته بالنوم والتغافل والفهد كذلك، والمعنى: أنه يتغافل عن أحوال البيت، وإن وجد فيها خللاً أستحق اللوم به أغضى.

وأسد: واستأسد، أشبه الأسد في الإقدام.

قولها: ولا يسأل عما عهد؛ أي: هو كريم لا يسأل عما ترك في البيت من زاد وطعام.

ويروى بعده: (ولا يرفع اليوم لغد)، وهو من القوة والكرم أيضاً.

وعن إسماعيل بن أبي أويس أنها أرادت بقولها: (إن دخل فهد) أنه يثب [عليها] وثبة الفهد وسريع الوثب^(١).

(١) يحتمل أن تريد به البطش بها، والضرب لها، أو تريد به

قال الشارحون: وعلى هذا فهذه المرأة ذمَّت منه شيئاً، ومدحت شيئاً. ويجوز أن يقال: كُنْتُ به عن قوة مجامعته، أو سرعة رغبته فيها وفي معاشرتها.

ويروى: (إِنْ دَخَلَ أُسْدٌ وَإِنْ خَرَجَ فَهَدَ) ^(١) على العكس مما سبق، قالوا: وهذا ذمٌّ، وعلى هذا فقد رُوي: (ولا يسأل عما عهد) أي: لا يكلم لسوء خلقه، ويجوز أن يحمل (إِنْ دَخَلَ أُسْدٌ) على شدة طلبه لها وتعلقه بها (وَإِنْ خَرَجَ فَهَدَ) على غفلته عن غيرها، فيخرج عن أن يكون ذمّاً.

= المبادرة إلى جماعها، وكثرة الحظ من استمتاعها، أو سوء تناوله ذلك دون ملاحظتها.

(١) وهو وهم بخلاف سائر الروايات المشهورة الصحيحة.

[قول السادسة]

قول السادسة: زوجي **إِنْ أَكَلَ لَفَّ**، أي: ضمّ وخلط صنوف الطعام بعضها ببعض، إكثاراً من الأكل، يقال: **لَفَّ** الكتيبة بالأخرى إذا خلط.

ويروى (**إِنْ أَكَلَ رَفَّ**) قال ابن الأنباري: يقال: رف يرف أي أكل، وزف يرف أيضاً امتص، والوجه الحمل على المعنى الثاني، وفيه وصف بالشهه والخسة، وقيل: (رف) أي أكل كثيراً^(١).

قولها: **وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ**، أي: استقصى ولم يُسَيِّر^(٢) [فيه سوراً]^(٣)، والشُّفَافَة: بقية الشراب في الإناء،

(١) ويروى (**إِنْ أَكَلَ اقْتَفَّ**) ومعناه قريب من المذكور، قال صاحب «العين»: «القضان: الجماعة، وقضان كل شيء: جماعه واستقصاؤه».

(٢) تصحفت في الأصل إلى «يشيز»!!

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل، واستدرسته من «غريب الحديث»: (٢٩٢/٢).

فلاشتفاف: شرب تلك البقية؛ تصفهُ بالشَّرِه وقلة الشفقة عليها.

قولها: وإن اضطجع التَّف، أي: ينام ناحية ملتفاً بثوبه، لا يضاجعني ولا يتحدث معي.

أما قولها: ولا يُولج الكَفَّ لِيَعْلَمَ البَثُّ، فالبَثُّ: أشدّ الحزن الذي تبائه، ثم فيه قولان:

— قال أبو عبيد: أحسبها كان ببعض جسدها داء أو عيب تكتئب منه^(١)، فقالت: إنه لا يدخل اليد ليتعرض له كرمًا منه، ولم يساعده الأكثرون، منهم ابن الأعرابي وابن قتيبة^(٢) وأبو سليمان وقال: أول كلامها ذم فكيف

(١) غريب الحديث: (٢٩٣/٢).

(٢) قال ابن قتيبة في «إصلاح الغلط»، نشر في مجلة أريكا، عام (١٩٦٥م): «وقد تدبّرت هذا التفسير، فرأيت المرأة في اللفظين الأولين، قد وصفته بالشَّرِه والنَّهم والبخل ومن شأنهم أن يذموا بكثرة الطعام ويمدحوا بقلّة النوم، فكيف تهجو بلفظين وتصفه بالكرم في الثالث! ولا أردى القول فيه إلا ما قال ابن الأعرابي، فإنه رواه: «زوجي إن أكل لَفَّ، وإن شرب اشْتَفَّ، وإن رقد التَّفَّ، ولا يدخل الكَفَّ، فَيَعْلَمُ البَثُّ» وفسره، فقال: «أرادت أنه إذا رقد التف ناحية ولم يضاجعها، ولم يمارس منها ما يمارسه الرجل من المرأة إذا أراد وطأها، فيدخل يده في ثوبها، فيعلم البَثُّ، ولا بثُّ هناك غير حب المرأة دنو زوجها منها، ومضاجعته

تمدحه على الأثر وتصفه بالكرم. وقد عدها عروة بن الزبير مِنَ الذَّمات.

— ثم منهم من قال: أرادت أنه لا يضاجعني، ولا يتعرّف ما عندي مِنْ حُبِّ قُرْبِهِ، ويوافقه ما رُوي (وإذا اضطجع التفّ).

وقيل: أرادت لا يدخل يدهُ في أموري يعرف ما أكرهه ويصلحه.

وقيل: أرادت أنني إذا كنتُ عليلاً لم يجئني، ولم يدخل يده تحت ثيابي ليعرف مالي.

ونصر ابن الأنباري أبا عبيد، فقال: إِنَّ النِّسوةَ تعاقدن على أن لا يكتمن شيئاً من أخبار أزواجهن، فلا يَبْعُد أن يكون فيهن مَنْ يذمّ شيئاً مِنْ زوجها، ويمدح شيئاً، وإنما عدها عروة من الذَّمات لابتدائها بالذَّم.

= إياه، وَكُنْتُ بالبَّتِّ عن ذلك، لِأَنَّ البَّتَّ كان من أجله، هذا معنى قول ابن الأعرابي، وليس بعينه».

[قول السابعة]

قول السابعة: زوجي عَيَاء أو غَيَاء: الشكُّ في اللفظتين منسوب إلى عيسى بن يونس، والذي صححه أبو عبيد والمعظم: العين، وعدوا الغين تصحيفاً.

والعَيَاء: فعلاء مِنَ العَيِّ، وهو من الإبل والناس: الذي عبي بالضراب؛ ترميه بالعنة.

والطباقاء: المعجم الذي انطبق عليه الكلام، أي انغلق، وقيل: هو الأحمق الذي انطبقت عليه الأمور فلا يهتدي إلى الخروج منها، وقيل: هو الذي لا يأتي النساء، وقيل: هو الثقيل الصدر عند المباضة.

جَوَز الزمخشري^(١) أن يكون اللفظا (غَيَاء) بالغين من الغيابة، وهي السحابة، ويقال: غايينا عليه بالسيف أي: أظللنا، وهو العاجز الذي لا يهتدي لأمر كأنه في

(١) في «الفائق في غريب الحديث»: (٢/٢٠٧)، وذكر نحو الآتي القاضي عياض أيضاً في «بغية الرائد»: (٨٩).

ظلمة وغياية أبدأ، وقيل: يجوز أن يكون من الغيِّ، وهو الانهماك في الشرِّ، وأيضاً الخيبة، وقد فسّر به قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(١).

قولها: كل داء له داء، الداء العيب والمرض، والمعنى: إن العيوب المتفرقة في الناس مجتمعة فيه، وعلى هذا فقولها له: (داء) خبر لقولها: (كل داء)، وفي «الفائق» أنه يحتمل أن يكون (له) صفة لداء و (داء) خبر الكل أي كل داء فيه بليغ مُتَنَاهٍ، كما يقال: إن زيدا لزيد، ويُراد وصفه بالكمال^(١).

قولها: شَجَّكَ، أو فَلَّكَ، الشج: الجرح في الرأس والوجه، والفَلَّ: الكسر، قيل: أرادت كسر العظام من الضرب، وقيل: كسر القلب بأخذ المال والأثاث، وقيل: كثير الحجة بالخصومة والعدل، ومنهم من قال: أرادت بالفل الطرد والإبعاد، والمعنى: أنه سيء الخلق يضرب امرأته بحيث يشج أو يفل أو يجمعهما معاً، والسماع في شَجَّكَ وفَلَّكَ وكلَّالِكَ كسر

(٢) سورة مريم: آية ٥٩.

(١) راجع: «الفائق»: (٢/٢١٠) و«فتح الباري»: (٩/٢٦٤).

الكاف، لأن المحاورة كانت بين النسوة، فكأنها قالت:
إن كنت زوجتي أيتها المخاطبة شجك أو فللك^(١).

(١) فهي تصفه بالحمق، والتناهي في جميع النقائص والعيوب،
وسوء العشرة مع الأهل، وعجزه عن حاجتها، مع ضربها وأذاه
إياها، وأنه إذا حدّثته سبها، وإذا مازحته شجها، وإذا غضب إما
شجها في رأسها أو كسر عضواً من أعضائها، أو جمع ذلك كله
لها من الضرب والجرح وكسر الأعضاء، أو الكسر بالخصومة،
وموجع الكلام، وأخذ مالها، قاله القاضي عياض في «بغية
الرائد» (٩١ - ٩٢).

[قول الثامنة]

وقول الثامنة: الْمَسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ، حملوه على الوصف بحسن الخلق، ولين الجانب، كما أن الأرنب لِيْن عند المس، ويجوز أن تريد لين بشرته ونعومتها.

والزرنب؛ قيل: هو نبات طَيَّبَ الريح، وقيل: شجر طيب الريح^(١)، وقيل: الزعفران. وقد يقال: (ذرنب) بالذال، وهما لغتان كزبر وذبر.

وأرادت طيب ذكره في الناس، وثناؤهم عليه، أو طيب عرفه.

(١) اختلف أصحاب النبات من القدماء والمتأخرين في صفته، فقال بعضهم: هي شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام، لا تثمر، لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة، يشبه ورق الخلاف، ورائحتها كرائحة الأترج، وتستعمل ورقه وقضبانه. وقال أكثرهم: إنها حشيشة دقيقة طيبة الرائحة، وقال بعضهم: تشبه ورق الطرفاء، صفراء كرائحة الأترج من الأفواه الطيبة، ولهذا استعملها العطارون، وتخلط بالطيب لعطريتها، وتسمى «أرجل الجراد» لشيها به.

ويروى بعد الكلمتين (أغلبُهُ، والنَّاسُ يَغْلِبُ)^(١)
وفيه وصفُهُ بالقوة والشجاعة وحسن الخلق مع الأهل^(٢).

(١) وهذه رواية عند النسائي والطبراني والزبير بن بكار، كذا في «فتح الباري»: (٢٦٤/٩).

(٢) هذه تصف زوجها بلين الجانب للأهل، وحسن الخلق والعشرة معهن، كمسّ الأرنب لليانة لمجسها، ولدونة وبرها، أما تشبيهها بإياه بريح الزرنب، ففيه تأويلات:

أحدها: أنها أرادت بذلك طيب ثنائه في الناس وانتشاره.

والثاني: أنها أرادت طيب جسده، وعطر أردانه.

والثالث: أنها أرادت لين عريكته، وحسن خلقه.

ثم وصفته بالشجاعة والحزامة. وأكدت ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الأهل بقولها: «وأغلبه والناس يغلب».

[قول التاسعة]

قول التاسعة: زوجي، رفيع العماد، العماد: عود الخباء؛ كُنْتُ بارتفاعه عن شرفه وارتفاع بيته.

والنجد: حمالة السيف، وهو ما يتقلد به؛ كُنْتُ به، عن امتداد قامته، وحسن منظره.

قولها: عظيم الرماد، كناية عن كثرة ضيافته، وقد تشير به إلى طبخه اللحوم والأطعمة التي يحوج طبخها إلى النيران العظيمة، وذُكر أن أهل البلاغة يسمون مثل هذه الصنعة الإرداف، وهو: التعبير عن الشيء ببعض لواحقه.

قال أبو سليمان الخطابي: يحتمل أن تريد أنه لا يطفىء ناره ليلاً ليهتدي بها الضيفان فيغشونه^(١).

(١) وكانت عادة أجواد العرب وقود النيران في ظلم الليل، على مشارف الأرض ليتابها الضيفان، وربما رفعت على الأيدي منها الأقباس.

والنادي: والنَّديّ والمُنْتَدَى: مجلس القوم
ومجتمعهم، وقد يجعل النادي اسماً للقوم، وفسر به
بعضهم قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُمْ﴾^(١). والكريم يقرب
بيته من النادي ليظهر ويُعرف فيُعشى، وقد يقصد
الشريف به تسهيل إتيانه على القوم^(٢).

ويُروى بعد هذه الكلمات (لا يشبع ليلة يضاف،
ولا ينام ليلة يخاف)، وأرادت بالأول: أنه يؤثر الضيفان
بطعامه، وبالثاني: أنه يستعدّ ويتأهب للعدوّ ويأخذ
بالحذر.

(١) سورة العلق: آية ١٧.

(٢) تريد بذلك أنه ينزل بين ظهراي الناس، ومجتمع الحي،
ومقصد الوارد، وطالب الضيافة، لتكثر أضيافه، ولا يتواري
بأطراف الحلل، وأغوار المنازل، ويبعد عن سمت الوارد، فراراً
من القاصد، وملاذاً من الطارق، لئلا يهتدوا إلى مكانه،
ويستبعدوا موضعه، فبصدفون عنه، ويميلون إلى غيره، قاله
القاضي عياض في «بغية الرائد»: (٩٩) ونحوه في «غريب
الحديث»: (٢/٢٩٧ - ٢٩٨) لأبي عبيد و«فتح الباري»: (٢٦٥/٩).

[قول العاشرة]

قول العاشرة: زوجي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، أرادت به تعظيمه والتعجب من أمره^(١).

قولها: مَالِكٌ خَيْرٌ من ذلك، أي: هو فوق ما يوصف به من الجود والأخلاق الحسنة، وقد تريد إشارة إلى الذين مدحهم من قبل، وتقول: هو خير منهم. وذكروا لقولها: له إِبْلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قليلاتُ المسارح، معاني:

أشهرها: وبه قال أبو عبيد^(٢) وابن السكيت^(٣): أنه يتركها تبرك بفنائه لتكون معدة للضيغان فيطعمهم من

(١) حقيقة الكلام: ما مالك؟ وما هو؟ أي: أي شيء هو؟ ما أعظمه وأجله وأكرمته!.

(٢) في «غريب الحديث»: (٢/٢٩٩).

(٣) نقل عنه القاضي عياض في «بغية الرائد»: (١٠٨) قوله: «أي: مباركها على الحقوق والعطايا والحملات والأضياف كثيرة، ومراعيها قليلة، أي: إنها تكثر إذا بركت لمن يتشابها من الضيغان، وطلاب الرغد» وراجع «فتح الباري»: (٩/٢٦٦).

لحومها وألبانها، وقلّ ما يسرحها لثلاً يتأخر القرى
لُبُعِدْها.

والثاني: وبه قال ابن أبي أويس^(١)، إنه يكثر منها
النحر لأضيافه بعدما بركت، فتكون قليلة إذا سرحت،
وإن كانت كثيرة عند البروك.

الثالث: إن كثرتها عند البروك لكثرة من تبعها
وانضمّ إليها طمعاً في رفقها، فإذا ظفروا بما ييغون
تفرّقوا عنها، فكانت قليلة إذا سرحت.

الرابع: قيل أرادت بكثرة المبارك أنها محبوسة
للأضياف، فتقام للحلب مرة بعد أخرى، فيتكرر بروكها
بعد الإقامة.

والمعزف: العود والمقصود أن إبله قد اعتادت
منه إكرام الضيفان بالنحر لهم وبسقيهم وإتيانهم
بالمعازف، فإذا سمعت صوت المعزف أيقنت بالنحر.

في «الفائق» أنه قد قيل: إن المزهري^(٢) الذي يزهر

(١) حكاه إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه، أفاده القاضي عياض.

(٢) سبق أبو سعيد الضرير الزمخشري إلى هذا التفسير، و(المزهري)
على هذا القول بضم الميم وكسر الهاء، وهو الذي يوقد النار =

النار، يقال: زهر النار وأزهرها، أي: أوقدها، أي: إذا
سمعن صوت موقد النار.

ويُروى في آخر كلامها: (وهو أمام القوم في
المهالك) أي: مقدّمهم في الحرب لشجاعته^(٢).

= فيزهرها للضعف، فإذا سمعت الإبل صوته، ومعمعان النار
عرفت أن ضعفاً طرق، فتيقنت الهلاك، وأيده أبو سعيد بإنكاره
أن يكون تفسير المزهر العود، فقال: «ما كانت العرب تعرف
العود إلا من خالط الحضرم منهم»، وتعقبه عياض بأن الناس
كلهم روهه بكسر الميم وفتح الهاء، ثم قال:

«ومن الذي أخبره أن مالكا المذكور لم يخالط الحضرم، ولا سيما
مع ما جاء في بعض طرق هذا الحديث: أنهم كنّ في
قرية من قرى اليمن، وفي الأخرى: أنهم من أهل مكة. وقد
أكثر ذكر المزهر في أشعار العرب جاهليتها وإسلامها بدويها
وحضريها» وأيده الحافظ. ابن حجر بقوله:

«ويرد عليه أيضاً ورود بصيغة الجمع فإنه بعينه للالة». راجع:
«بغية الرائد»: (١١١) وما بعدها، و«فتح الباري»: (٢٦٦/٩)
و«الفاثق في غريب الحديث»: (١١١/٢) و«غريب الحديث»
لأبي عبيد: (٢٩٩/٢).

(١) فجمعت في وصفها له بين الشروة والكرم، وكثرة القرى
والاستعداد له، والمبالغة في صفاته، ووصفته أيضاً مع ذلك
بالشجاعة لأن المراد بالمهالك الحروب، وهو لثقتة بشجاعته
يتقدّم رفقته، وقيل: أرادت أنه هادٍ في السُّبُل الخفية، عالم
بالطرق في البيداء، فالمراد على هذا بالمهالك المفاوز، والأول
أليق، والله أعلم، قاله الحافظ في «الفتح»: (٢٦٦/٩).

[قول الحادية عشرة: أم زرع]

قول أم زرع: زوجي أبو زرع وما أبو زرع،
قيل: تكنية الزوجين بزرع كان على عادة العرب في
تكنية الأبوين باسم من ولد بينهما، كأم الدرداء وأبي
الدرداء وأم الهيثم وأبو الهيثم في الصحابة^(٣).

وقولها: أَنَسَ مِنْ حُلِيِّ أذُنِي، أي حركها بما
حلاهما به من القرطة. والنوس: تحريك الشيء
المتدلي، والإناسة: تحريكه^(٤).

(١) وقد صنف أبو الحسن محمد بن عبد الله بن حَيَّوَه (ت ٣٦٦ هـ)
كتاباً بعنوان «من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة»، مطبوع
بتحقيقنا نشر دار ابن القيم / الدمام.

وكذا أبو الربيع بن سالم الكلاعي الحميري، له «المعجم فيمن
وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة» كما في «الديباج
المذهب»: (٣٨٦/١) وكذا السيوطي كما في «حسن
المحاضرة»: (١/٣٤٠، ٨٩٤).

(٢) والمراد: أنه ملأ أذنيها بما جرت عادة النساء من التحلي به من
قرط وشنف من ذهب ولؤلؤ ونحو ذلك.

قولها: مَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي، أي سَمَّتِي بحسن
التعهد، واكتفت بالعضد عن سائر الأعضاء فإنهما إذا
سما سمن سائر البدن^(١).

وقولها: وَبَجَّحَنِي فَبَجَّحْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، قال ابن
الأنباري: أي عَظَّمَنِي فعظمت عند نفسي. وقال أبو
عبيد: فَرَّحَنِي ففَرَّحْتُ وعظمت عند نفسي.

ويُروى (فَبَجَّحْتُ إِلَيَّ نَفْسِي)^(٢) يقال بجح بالشيء
وبجح به، أي فرح.

قولها: وَوَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةَ بِشَقٍّ فَجَعَلَنِي فِي
أَهْلِ صَهِيلٍ، وَأَطِيطٌ، قيل: (شِقٌّ) موضع بعينه^(٣)، ثم
أبو عبيد فتح الشين^(٤)، وَكَسَّرَهَا غَيْرَهُ، وذكر الهروي أن
الصواب الفتح، وقال ابن أبي أويس: المعنى بشق

(١) ووجه اختصاصها للعضد بذلك - والله أعلم - لأنه أقرب ما يلي
بصر الإنسان من جسده، وأول ما يظهر له فيه سمته.

(٢) بضم التاء، وتخفيف (إلى).

(٣) من حصون خيبر، ومن قرى فذك تعمل فيها اللجم، راجع
«معجم البلدان»: (٢٨٣/٥) و«معجم ما استعجم»:
(٨٠٥/٣).

(٤) راجع له «غريب الحديث»: (٣٠١/٢).

جبل لقلتهم وقلة غنمهم، وهذا يصح على رواية الفتح،
أي: بشق في الجبل كالغار ونحوه، وعلى رواية
الكسر، أي: في طرف منه وناحية.

قال آخرون^(١): المعنى بجهدٍ ومشقةٍ يحتملونها في
معيشتهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾^(٢).

والمقصود: أنني كنت في قومٍ قليلي العدد
والمال، فلم يأنف من فقر قومي وضعفهم، فنكحني
ونفاني إلى قومه، وهم أهل خيل وإبل.

والأطيظ: ههنا صوت الإبل، وقد يسمى صوت
غير الإبل أطيظاً^(٣).

قولها: وَدَائِسٍ وَمُنَقٍ، فقد قيل: الدائس البيدر،
والمُنَق: الغربال، وقيل: الدائس الذي يدوس الطعام
بعد الحصاد؛ تريد أنهم أصحاب زرع أيضاً، ويروى

(١) منهم: الزمخشري في «الفائق»: (٢/٢١٢).

(٢) سورة النحل: آية ٧.

(٣) أصل الأطيظ صوت أعواد المحامل والرحال، ويشبه أن تريد
بالأطيظ هذا، تريد أنهم أصحاب محامل ورفاهة، لأن المحامل
لا يركبها إلا أصحاب السعة والرفاهية، وكانت قديماً من مراكب
العرب.

(مُنِق) بكسر النون من النقيق، وفسر بالمواشي والأنعام، وقيل: أرادت الدجاج^(١)، أي هم أصحاب طير.

قولها: فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقْبِحُ، أي لا يردّ قولي، ولا يُقال لي: قَبَحَكَ اللهُ.

والتَّصَبُّحُ: نوم الصبحة، وهو أن تنام بعدما تصبح؛ تريد أنها مخدومة مكفية المؤنة لا تحتاج إلى البكور. وقيل: أرادت لا أُتْبَهُ ولا أَرْعُزَعُ حتى أقضي وطري من النوم.

قولها: وَأَشْرَبُ، فَاتَّقَمَّحُ: أي أرفع رأسي عن الإناء للري والاستغناء عن الشرب، من قولهم: (بغير قامح) إذا رفع رأسه من الحوض فلم يُشرب، ويُروى (فَاتَّقَنَّحُ)^(٢) بالنون، أي: أقطع الشرب من الري. وقيل: أشرب على الري، وذلك مع عزة الماء

(١) وعليه فهو مأخوذ من (نقنقة الدجاج)، يقال: أنق الرجل إذا كان له دجاج تنقنق.

(٢) لم يقع في «الصحيحين» إلا بالنون، ورواه الأكثر في غيرهما بالميم، ونقله البخاري عن بعضهم، عقب سرد الحديث.

عندهم^(١)، وقيل: هما بمعنى واحد، كما يقال: امتقع لونه وانتقع.

والمعنى: أشرب حتى إني لأرى المشروب فأصرف وجهي عنه لغاية الري.

وزيد في بعض الروايات (وَأَكَل فَأَتَمَّنَح)^(٢) أي: أعطي عن تمام الشبع.

قولها: عَكُومُهَا رَدَّاحٌ، العكوم: الأحمال والأعدالُ التي فيها الأمتعة^(٣)، الواحد عِكْمٌ. والرداح: العظيمة الممتلئة، وقيل: الثقيلة، قال في «الفائق»^(٤): وتكون صفة للمؤنث كالرحال والثقال، يقال: جفنة وكتيبة وامرأة رداح، ولما كانت جماعة ما لا يعقل في حكم المؤنث، جعلت صفة لها، قال: ولو جاءت الرواية

(١) استغرب ابن حجر هذا القول، وتعبه بأن السياق ليس فيه التقييد بالماء، فيحتمل أن تريد أنواع الأشربة، راجع «فتح الباري»: (٢٦٩/٩).

(٢) في الأصل: «فأمنح»!! والتصويب من «بغية الرائد»: (١٢٨) و«فتح الباري»: (٢٦٩/٩).

(٣) وقيل: هي نمط تجعل المرأة فيها ذخيرتها، حكاه المزخشري.

(٤) (٢١٢/٢).

بفتح العين لكان الوجه على أن يكون العكوم: الجفنة التي لا تزول عن مكانها، [إما] لعظمها، أو لأن القرى متصل دائم، من قولهم: (مَرَّ ولم يعكم)، أي لم يقف ولم يتحبس؛ أو التي كثر طعامها وتراكم، من قولهم: اعتكم الشيء وارتكم، أو التي يتعاقب فيها الأطعمة، من قولهم للمرأة المعقاب: عكوم، والرداح حينئذ يكون واقعة في نصابها.

وجوز بعضهم أن يقال: كُنْتُ بالعُكُوم عن الكفل.

والفياح: والأفياح: الواسع، يقال: فاح بفتح إذا اتسع، ويروى بدل الفياح: فساح بتخفيف السين، والفساح والفسيح الواسع أيضاً^(١).

قولها: ([مَضْجَعُهُ] كَمَسَلٌ شَطْبَةٌ)، المَسَلُ: مصدر كالسل، وهو يقام^(٢) مقام المسلول، والمعنى: كمسلول شطبة. والشطبة: ما ينزع من القضبان الدقاق من جريد

(١) هذه الأوصاف لوالدة زوجها. فذكرت أنها كثيرة الآلات والأثاث والقماش، واسعة المال، كبيرة البيت، إما حقيقة، فبدل ذلك على عظم الثروة، وإما كناية عن كثرة الخير ورغد العيش والبرّ بمن ينزل بهم.

(٢) في الأصل: «مقام»!!

النخل، ينسج منها الحصر، وقد يشق الجريد فيجعل
قضباناً دقاقاً، أي هو صوب اللحم، خفيف الخصر،
والعرب تمدح بذلك، ويستدل به على الشجاعة.

وقيل: الشطبة السيف، شبهته بسيف سل من
غمده^(١).

والجَفْرَةُ: الأنثى من ولد الضَّان والذَّكر جَفْر.

في «الفائق» أن الجَفْر: الماعزة إذا بلغت أربعة
أشهر وفصلت وأخذت في الرعي^(٢).

والذراع: يذكر ويؤنث. والرواية: تشبعه بالتاء.

ويُروى (وترويه فَيْقَةُ الْيَعْرَةَ وَيَمِيسُ فِي حَلْقِ الثَّرَةِ)
و(الْفَيْقَةُ): ما يجتمع من اللَّبْنِ بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ وَهِيَ
الْفُوقُ أَيْضاً، و(الْيَعْرَةُ): العناق، وقيل: الجدي.
تصفه بالإقلال من الطعام والشراب وهو محمود
عندهم، و(يميس) يتبختر، و(الثَّرَةُ) الدرع القصيرة^(٣).

(١) وقد شَبَّهت العربُ الرجالَ بالسيفِ إما لخشونة الجانب، وشدة
المهابة، وإما لجمال الرونق وكمال اللألاء، وإما لكمال صورتها
في اعتدالها واستوائها.

(٢) الفائق في غريب الحديث: (٢/٢١٣).

(٣) هذه الأوصاف لابن أم زرع، وصفته بأنه مهفهف الخلق، ضرب =

قولها: ملء كسائها، أي تملأه بكثرة اللحم، وهي مستحبة في النساء ويُروى (صِفْرُ رداثها، وملء إزارها)، وفيه وصف بالضمور^(١)، وعظم الكفل، لأن طرف الرداء يقع على مقعد الإزار^(٢).

قولها: وغيظ جارتها، الجارة: الضرة، أي يغيظ الضرة^(٣) ما يرى من عفتها وجمالها. ويروى بدله (وعُبر جارتها)، وفسره ابن الأنباري بوجهين:

أحدهما: أنها ترى منها ما يعتبر عينها ويكيها من الغيظ والحسد.

= اللحم، ليس يبطين ولا جظ جعظري جواظ، وكنت عن ذلك بأن مضجعه الذي ينام فيه في الضيق كَمَسَلْ شَطْبَة واحدة إذا سلّت من الحصير، فبقي مكانها فارغاً بين أخواتها، أو أنه مثل غمد السيف، وقد تقدم وجه مدح العرب به، ثم وصفته بقلّة الأكل والشرب. وبأنه صاحب حرب وشكة وخيلاء في موضع القتال.

- (١) لأنّ الصفر الخالي الفارغ.
- (٢) لعله أراد أن امتلاء منكيها وقيام نهديها يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فهو لا يمسه، فيصير كالفارغ منها، بخلاف أسفلها.
- (٣) ويحتمل أيضاً أن تكون الجارة بالسكنى، فالضرة إنما سميت جارة لمجاورتها ضررتها، وتسمى الزوجة جارة أيضاً لمجاورتها الزوج.

والآخر: أنها ترى من عفتها ما يعتبر به، الأول من العبرة، والثاني من العبرة.

ويُروى: (وَعَقَّرَ جارتها) بفتح العين والقاف، وهو الدهش، يقال منه عقر فادن.

ويُروى: (وَعَقَّرَ جارتها)، وهو الجرح، ومنه قولهم: كلب عقور، أي تجرح قلبها.

ويُروى: (وَعَقَّرَ جارتها)، أي يعطل الزوج الجارة لرغبته في هذه الممدوحة فلا تحبل، فتصلي كأنها عاقر.

ويُروى: (وغير جارتها)، والغير والغار: الغيرة^(١).

ويُروى - قبل قولها: طوع أبيها وطوع أمها -: (وفي الإل، كريم الخُلِّ، برُود الظلِّ)، والإل: العهد، أي هي وافية بعهدها^(٢). وبرُدُ الظلِّ: مثَلُ لطيب العِشْرة. قولها: (كريم الخُلِّ)، قيل: معناه أنها تكرم على من يعاشرها، فخليلها يعاشر بعشرته إياها كريماً، وقيل:

(١) فكان الهاء حذفت وأبدلت من الألف ياء.

(٢) في الأصل: «هو وافية بعدها»!!

و(الآل) أيضاً القرابة.

المعنى أنها لا تتخذ أخدان السوء، وإنما قال: وفي
وكريم في صفة المؤنث على تأويل أنها إنسان أو
شخص وفي الإل^(١).

قولها: لا تَبُّ حَدِيثَنَا تَبِيْثًا، ويروى بالباء والنون،
وهما متقاربان؛ يقال: بَثَّ الخَبْرَ أي نشره وأشاعه،
وَنَثَّ الحديث يَنْثُهُ نَثًّا أَفْشَاهُ، ويقال: نَثَّ اغتاب واطلع
على السرِّ، وهما متقاربان^(٢).

والمقصود أنها لا تخرج سرًّا ولا تظهره. ولقُرْبِ
اللفظتين في المعنى، روى بعضهم الفعل بالباء
والمصدر بالنون، ومخالفة المصدر الفعل كما في قوله
تعالى: ﴿وَبَدَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(٣) ونظيره.

قولها: ولا يَنْتَقِلُ مِيرَتَنَا تَنْقِيَةً، الميرة: الطعام،

(١) هذه الأوصاف لبنت أم زرع. وصفتها بحسن الصحبة لمن
صحابها وجاورها، وكرم العشرة معهم، وعزهم في جوارها،
وأنها ذات خَلِّ كريم، وزوج شريف، إن فسرنا الخَلَّ بالخليل،
أو إنها كريمة المخاللة والمعاشرة إن كانت كُنْتُ بالخل عن
ذلك، وإنها وفيه لعهود الزوج والجار، وصولة لمن بينها وبينه
ذمة أو سبب.

(٢) ويقال: «نَثَّ» بالنون، في الشرِّ خاصَّة.

(٣) سورة المزمل: آية ٨.

والميرة أيضاً ما يمتاره البدوي من الحاضرة. والتنقيت:
الإسراع في السير.

والمعنى أنها لا تنقل طعامنا ولا تذهب ولا تفرقه
مسرعة: تصفها بالأمانة.

ويُروى (ولا تُنْفُتُ)، وهو بمعناه.

ويُروى (ولا تُنْفُتُ)، وحينئذ يكون المصدر والفعل
متفقين، ورواه بعضهم (لا تَبُتُّ) بالباء، وبعضهم (لا
تُنْفُتُ) بالفاء، ولا صحة لها.

قولها: ولا تَمَلًّا بَيْتِنَا تَعْشِيشًا، روي بالغين
المعجمة من الغشّ، أي: لا تغشّنا، وقيل: أرادت
النميمة؛ ورواه الأكثرون بالعين، ثم قيل: هو مأخوذ
من عُشّ الطائر، وذكر على هذا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تهتمّ بشأن البيت وتطهيره، فلا تدع
الكناسات هاهنا وهاهنا كعشيشة الطيور.

والثاني: أنها لا تدع متغيراً مستقديراً كعُشّ الطائر.

والثالث: أنها لا تخون في الطعام فتحبأه هنا وهنا
كما يعشّ الطير في مواضع شتى.

قال أبو سليمان الخطابي: وهو من قولهم عَشَّ الخبز، إذا تخرج وفسد.

يريد أنها تحسن مراعاة الطعام، وتعهده وتطعم منه الشيء بعد الشيء طرياً، ولا يغفل عنه فيفسد^(١).

وجوز أبو القاسم الزمخشري أن يكون ذلك من قولهم: شجرة عَشَّة، أي قليلة السعف؛ وعَشَّ المعروف يعشّه، إذا أقله، وعطية معشوشة قليلة أي لا تملأ البيت اختزلاً وتقليلاً لما فيه^(٢).

ويروى في صفة الجارية: (لا تنجث عن أخبارنا تنجيثاً، ولا تغث طعامنا تغثيثاً)، والتنجيث: الاستخراج والإشاعة، والإغثاث والتغثيث إفساد الطعام والكلام وغيرهما.

(١) نقل القاضي عياض قول الخطابي أيضاً، راجع «بغية الرائد»: (١٥١).

(٢) «الفائق في غريب الحديث»: (٢/٢١٤).

والأوصاف المذكورة لجارية أبي زرع، وصفتها بالأمانة على السرّ والمال، والقيام بمصالح خدمتهم، والنصح لهم، وأنها لا تفشي لهم حديثاً، ولا تبذر لهم طعاماً، ولا تخون فيه، ولا تنقله إلى غيرهم، ولا تفسده، ولا تسيء صنعته وتضيعه، ولا تدخل بينهم الضغائن، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم.

في بعض الروايات: (طُهَاءُ أَبِي زَرْعٍ وَمَا طُهَاءُ أَبِي زَرْعٍ، لَا تَفْتَرُ^(١) وَلَا تَعْدَى^(٢)) تَقْدَحُ قَدْرًا وَتَنْصَبُ^(٣) أُخْرَى فَتَلْحَقُ الْآخِرَةَ بِالْأُولَى)، وَالطُّهَاءُ: الطَّبَاخُونَ، وَأَرَادَتْ أَنَّهُمْ لَا يَفْتَرُونَ عَنِ الطَّبِيخِ وَلَا يَصْرِفُونَ عَنْهُ. وَالقَدْحُ: الْغُرْفُ، وَيُقَالُ لِلْمَغْرَفَةِ: مَقْدَحَةٌ، وَالْقَدُورُ يَلْحَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَلَا يَنْقَطِعُ الطَّعَامُ عَنِ الضَّيْفَانِ.

وَيُرْوَى: (ضَيْفُ أَبِي زَرْعٍ وَمَا ضَيْفُ أَبِي زَرْعٍ فِي شَبَعٍ وَرِيٍّ وَرَنْعٍ)، أَي: لَهُوَ وَتَنْعَمُ.

وَأَيْضًا: (مَالُ أَبِي زَرْعٍ وَمَا مَالُ أَبِي زَرْعٍ، عَلَى الْجُمَمِ مَحْبُوسٌ وَعَلَى الْعَفَاةِ مَعْكُوسٌ) الْجُمَمُ جَمْعُ جُمَّةٍ: وَهُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ فِي الدِّيَةِ، وَيُقَالُ الْجُمَّةُ: الدِّيَةُ، وَأَجَمٌ: أَعْطَى الدِّيَةَ؛ وَالْعَفَاةُ: السَّائِلُونَ؛ وَالْمَعْكُوسُ: الْمَعْطُوفُ. يَرِيدُ أَنْ مَالَهُ وَقَفَ عَلَى تَسْكِينِ الْفَتَنِ، وَدَفَعَ حَاجَاتِ النَّاسِ^(٤).

(١) أَي: لَا تَسْكُنُ وَلَا تَضَعُفُ.

(٢) أَي: تَصْرِفُ.

(٣) أَي: تَرْفَعُ عَلَى النَّارِ.

(٤) وَصَفَتْ تَوْسَعَتَهُ عَلَى ضَيْفَانِهِ فِي الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ، وَإِكْرَامِهِمْ بِمَا يَطْرِبُهُمْ وَيُلْهِبُهُمْ وَيَسْرَهُمْ، وَأَنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، لَا يَنْقَطِعُ =

قولها: والأوطابُ تُمَخَضُ، الأوطاب جمع وَطْب: وهو سقاء اللبن خاصة، والأفعال في جمع فعل قليل والأغلب الفعال، وقد ورد في بعض الروايات: (والوطاب تُمَخَضُ)، على وفق الغالب، وتمخض: تحرك لاستخراج الزبد، قيل: إشارته بذلك إلى كثرة اللبن عندهم^(١).

قولها: كالفَهْدَيْنِ، شبهتهما بالفهدين في كونهما فارهين ممتلئين حسني الصورة^(٢).

= إطعامه، ولا تغب قدوره، ولا تستريح طهاته، وإن ماله محبوس على السؤال والطالبين، موقوف على مبتغى الرغد، وقاصدي النيل، مردود عليهم.

(١) أرادت أنه يبكر بخروجه من منزلها غدوة وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم، وانطوى في خبره كثرة خير داره، وغزر لبنه، وأن عندهم ما يكفيهم ويفضل، حتى يمحضوه ويستخرجوا زبده، ويحتمل أن يكون: أنها أرادت أن الوقت الذي خرج فيه كان في زمن الخصب وطيب الربيع، وكان سبب ذكر ذلك توطئة للباعث على رؤية أبي زرع للمرأة على الحالة التي رآها عليه، أي: إنها من مخض اللبن تعبت فاستلقت تستريح، فأراها أبو زرع على ذلك.

(٢) وفائدة وصفها لهما التنبيه على أسباب تزويج أبي زرع لها، لأنهم كانوا يرغبون في أن تكون أولادهم من النساء المنجبات، فلذلك حرص أبو زرع عليها لما رآها.

قولها: يَلْعَبَانِ من تحت خَصْرِهَا بِرُمَانَيْنِ، قال ابن أبي أويس: أرادت بالرُّمَانَيْنِ: ثدييها، وقال أبو عبيد وغيره: وصفتها بعظم الكَفَل، تريد أنها إذا استلقت نبا بها الكَفَل عن الأرض حتى يصير تحتها فجوة تجري فيها الرمان^(١).

(١) يؤيده ما وقع في رواية بعضهم: «وهي مستلقية على قفاها، ومعهما رمانة يرميان بها من تحتها، فتخرج من الجانب الآخر من عظم إليتيها».

ورجح القاضي عياض في «بغية الرائد»: (١٥٨) تأويل (الرُّمَانَيْنِ) بالثَّهْدَيْنِ، من جهة أن الزيادة المذكورة أنفأ لا تشبه كلام أم زرع، قال: فلعله من كلام بعض رواته أورده على سبيل التفسير الذي ظنّه، فأدرج في الخبر، وإلا لم تجر العادة بلعب الصبيان، ورميهم الرمان تحت أصلاب أمهاتهم، وما الحامل لها على الاستلقاء، حتى يصنعان ذلك، ويرى الرجال منها ذلك، بل الأشبه أن يكون قولها: (يلعبان من تحت خصرها أو صدرها) كما جاء في بعض الروايات، أي: إن ذلك مكان الولدين منها، وأنهما كانا في حضنيها أو جنيبيها، وفي تشبيه الثَّهْدَيْنِ بالرُّمَانَيْنِ إشارة إلى صغر سنّها، وأنها لم تترهل حتى تنكسر ثدياها وتندلى.

وتعقبه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٢٧٤/٩) فقال: «وما رده ليس ببعيد، أما نفي العادة فمسلّم، لكن من أين له أن ذلك لم يقع اتفاقاً، بأن تكون لما استلقت وولداها معها، شغلتهما عنها بالرُّمَانَةِ، يلعبان بها، ليتركاها تستريح، فاتفق أنهما لعبا بالهيئة التي حكيت، وأما الحامل لها على الاستلقاء =

والسَّرِيُّ: السَّيْدُ الشريف، ويجمع على سَرِيين
وأَسْرِيَا وسُرَاة.

والفرسُ السَّرِيُّ: الذي يسري في عَدُوهِ، أي: يَلِج
ويتمادى، ويقال: هو الفائق المختار من قولهم لخيار
المال: سرانة وشرانة، واسترى واشترى: اختار.

والخَطَى: الرمح المنسوب إلى الخَطِّ، وهو موضع
على ساحل البحر^(١) تنتقل إليه الرماح الهندية ثم ينقل
منها، وقيل: هو ساحل البحر.

= فقد قَدِمْتُ احتمال أن يكون من التَّعب الذي حصل لها من
المخض، وقد يقع ذلك للشخص، فيستلقي في غير موضع
الاستلقاء، والأصل عدم الإدراج الذي تخيله، وإن كان ما
اختاره من أن المراد بالرمانة ثديها أولى لأنه أدخل في وصف
المرأة بصغر سنها، والله أعلم» انتهى.

قلت: أما صغر سنها، فقد جاء في بعض الروايات: «فمرَّ
بجارية شابة»، أما تفسير الرمانتين بالثديين، فقد قال فيه أبو
عبيد في «غريب الحديث»: (٣٠٨/٢): «وبعض الناس يذهب
بالرمانتين إلى أنهما الثديان، وليس هذا موضعه».

(١) من ناحية البحرين، بين عُمان إلى البصرة، ومن كَاطِمة إلى
السُّحْر، وهي لعبد قيس، فيها الرماح الجياد، راجع «معجم ما
استعجم»: (٥٠٣/٢).

قولها: وَأَرَاخَ عَلَيَّ، أي رَدَّهَا مِنَ الْمَرْعَى .

نِعْمًا ثَرِيًّا، الثَّرِي: الْكَثِيرُ، يُقَالُ: أَثْرَتِ الْأَرْضُ إِذَا كَثُرَ ثَرَابُهَا، وَأَثَرَى بَنُو فُلَانٍ: كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَالثَّرْوَةُ: الْمَالُ الْوَاسِعُ، وَالثَّرَاءُ: كَثْرَةُ الْمَالِ، يُقَالُ: رَجُلٌ ثَرَوَانٌ وَامْرَأَةٌ ثَرَوَى، وَتَصْغِيرُهَا ثُرِيًّا^(١)، وَذَكَرَ ثَرِيًّا حَمَلًا عَلَى الْفِظِ^(٢).

قولها: مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، أَي: مَاشِيَةٌ تَرُوحُ .

وَيُرَوَى: (مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ) وَهِيَ الْمَاشِيَةُ الرَّاعِيَّةُ، يُقَالُ: سَامَتِ هَيَّ، أَي: رَعَتِ وَأَسْمَتَهَا أَنَا.

وَيُرَوَى: (مِنْ كُلِّ أَبْدَةٍ) وَهِيَ الْمَتَوَحِّشَةُ، وَالْجَمْعُ الْأَوَابِدُ.

(١) راجع «معجم مقاييس اللغة»: (١/٣٧٤) مادة (ثروى).
(٢) أي: جاء بـ «ثريا» الذي هو وصف للمذكر، ولم يأت فيه بعلامة التأنيث، فيقول «ثرية» وذلك يلزم لأن «النعم» مؤنثة، ولكن وجهه أن كل ما ليس بحقيقي التأنيث فلك وجهان في إظهار علامة تأنيثه في الفعل واسم الفاعل والصفة أو تركها، وكذلك في جموع من المذكر والمؤنث الحقيقي، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠] وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤] وقوله: ﴿وَأَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

قولها: زوجاً، قيل: الزوج يقع على الاثنين كما يقع على الفرد، ثم يقال: زوجان.

وقد روي: (من كل سائمة زوجين): وقيل: الزوج الفرد، إذا كان معه آخر، وذكر بعضهم أنه يجوز أن يريد أنه أعطاهما من كل رائحة صنفاً، وقد يعبر عن الصنف بالزوج، وقد قيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾^(١).

قوله: وَمِيرِي أَهْلِكِ، أي: خذي الطعام، واذهي به إليهم، تريد أنه وسّع عليها وعلى أهلها.

قولها: أصغر آنية أبي زرع، يُروي: (أصْفَر) بالفاء من الصَّفْر، وهو الخالي، يريد: أن الذي نكحته - وإن كان بالصِّفات المذكورة - فإن قدره لا يبلغ قدر أبي زرع^(٢).

(١) سورة الواقعة: آية ٧.

(٢) والحاصل أنها وصفته بالسؤدد في ذاته والشجاعة، والفضل والجد، بكونه أباح لها أن تأكل ما شاءت من ماله، وتهدى منه ما شاءت لأهلها مبالغاً في إكرامها، ومع ذلك فكانت أحواله عندها محترقة بالنسبة إلى أبي زرع، وكان سبب ذلك: أن أبا زرع كان أول أزواجها، فسكنت محبته في قلبها، كما قيل: «وما الحب إلا للحبيب الأول».

وفي بعض الروايات: (فاستبدلت بعده - أي بعد
أبي زرع - وكل بدل أعور)، وهذا مثلاً معروف، أي:
البدل قاصر عن الأصل غالباً، نسبته إليه كنسبة الأعور
إلى ذي العينين.

[كلام النبي ﷺ لعائشة]

قوله: صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ»، زيد في بعض الروايات: «إِلَّا أَنَّ أَبَا زَرْعٍ طَلَّقَ، وَأَنَا لَا أُطَلِّقُ»، وفي بعضها: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ فِي الْأُلْفَةِ وَالرَّفَاءِ، لَا فِي الْفِرْقَةِ وَالْخَلَاءِ».

قال ابن الأنباري: والرفاء: الاجتماع، من قولهم: رفات الثوب أرفأه، ويقرب منه: قول من يقول: الرفاء الموافقة والمواصلة. والخلاء في الإبل: كالحيوان في الخيل والبغال.

يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قلت يا رسول الله! بل أنت لي خير من أبي زرع لأم زرع)، وهذا هو اللائق لحسن أدبها.

واعلم أن حديث أم زرع قد تكلم في تفسيره ومعانيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث وأصحاب اللغة، وفيما أوردناه ما يحوي معظمه.

[فوائد الحديث]

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: (وفيه: العلم، وحسن العشرة مع الأهل، واستحباب محادثتهن بما لا إثم فيه).

وفيه: أن بعضهن قد ذكرن عيوب أزواجهن، ولم يكن ذلك غيبة لأنهم لم يُعرفوا بأعيانهم وأسمائهم).

وزاد تاج الإسلام أبو بكر السمعاني، فقال: (فيه دلالة على جواز ذكر أمور الجاهلية واقتصاص أحوالهم؛ وعلى فضل عائشة رضي الله عنها ومحبتة لها بملاطفته إياها؛ وعلى أن السَّمَر بما يحلّ جائز).

ولمعنى حسن العشرة مع الأهل ونحوه أورده البخاري الحديث في «كتاب النكاح»، وإشعاره بفضل عائشة أورده مسلم في «الفضائل»، ولمعنى السَّمَر أورده أبو عيسى الترمذي في «أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» في بابٍ تَرَجَمَهُ ب: كلام رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم في السَّمَر؛ وليس في اللفظ ما يدل على أن ذلك كان في السمر، لكن القصة تشبه الأسمار وربما ورد نقل^(١).

(١) ومن فوائد الحديث وعبره والمعاني المستنبطة منه:

- فيه: المرح وسط النفس، ومداعبة الرجل أهله، وإعلامه بمحبته لزوجته إذا علم أن هذا لا يفسدها عليه.
- وفيه: جواز الانبساط بذكر طرف الأخبار، ومستطابات النوادر تنشيطاً للنفوس.
- وفيه: منع الفخر بالمال.
- وفيه: بيان جواز ذكر الفضل بأمور الدين.
- وفيه: ذكر المرأة إحسان زوجها.
- وفيه: حضّ النساء على الوفاء لبعولتهن، وقصر الطرف عليهن، والشكر لجميلهم.
- وفيه: إن الحب يستر الإساءة، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه، إلى أن بلغت حد الإفراط والغلو.
- وفيه: إن كناية الطلاق لا توقعه إلا مع مصاحبة النية، فإنه ﷺ تشبه بأبي زرع، وأبو زرع قد طلق، فلم يستلزم ذلك وقوع الطلاق.
- وفيه: مدح الرجل في وجهه إذا كان ذلك لا يفسده.
- وفيه: وصف المرأة زوجها بما تعرفه من حسن وسوء، وجواز المبالغة في الأوصاف، ومحله إذا لم يصر ذلك ديدناً، لأنه يفضي إلى خرم المروءة.
- وفيه: تفسير ما يجمله المخبر من الخبر، إما بالسؤال عنه، وإما ابتداء من تلقاء نفسه.

=

.....
= - وفيه: إخبار الرجل بصورة حاله مع أهله، وتذكيرهم بذلك، لا سيما عند وجود ما طبعن عليه من كفر الإحسان.
- وفيه: إكرام الرجل بعض نسائه بحضور ضرائرها بما يخصها به من قول أو فعل، ومحله عند السلامة من الميل المفضي إلى الجور.

- وفيه: جواز تحدث الرجل مع زوجته في غير نوبتها.
- وفيه: جواز وصف النساء ومحاسنهن للرجل، لكن محله إذا كُنَّ مجهولات، والذي يمنع من ذلك وصف المرأة المعينة بحضرة الرجل، أو أن يذكر من وصفها ما لا يجوز للرجال تعمُّد النظر إليه.

- وفيه: جواز قول «أبي وأمي»، ومعناه: فداك أبي وأمي.
- وفيه: جواز المزح في بعض الأحيان، وإباحة المداعبة مع الأهل، وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل.

- وفيه: إن التشبيه لا يستلزم مساواة المشبه والمشبه به من كل جهة، لقوله ﷺ: «كنتُ لك كأبي زرع» والمراد ما بينهما من الألفة، لا في جميع ما وصف به أبو زرع من الثروة الزائدة، والابن، والخادم، وغير ذلك، وما لم يذكر من أمور الدين كلها.

- وفيه: إن من شأن النساء إذا تحدَّثت أن لا يكون حديثهنَّ غالباً إلا في الرجال، وهذا بخلاف الرجال، فإن غالب حديثهم إنما هو فيما يتعلَّق بأمور المعاش، ورضي الله عن ابن عباس، فإنه قال: «خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمة في الأرض».
=

وكان والدي رحمه الله يرغبني في حفظ هذا
الحديث في صغري لكثرة فوائده، وحسن ألفاظه.

وأختم الآن الحديث وشرحه بقولي:

نَفْسِي مِنْ جَانِبِ طَاعَاتِهَا حَلَّتْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
لَكِنْ رَبِّي وَاسِعٌ فَضْلُهُ إِنْ أَعْتَنِي بِي لَمْ يَضِقْ دَرْعٍ
وَصِرْتُ أَرْتَاخُ بِإِحْسَانِهِ كَأَمْ زَرْعٍ بِأَبِي زَرْعٍ

أحسن الله بنا، وحقق المنى بجوده وسعة رحمته.

= - وفيه: جواز الكلام بالألفاظ الغريبة، واستعمال السجع في الكلام، إذا لم يكن مكلفاً.

- وفيه: جواز التأسي بأهل الفضل من كل أمة، لأن أم زرع أخبرت عن أبي زرع بجميل عشرته، فامثله النبي ﷺ.

وردّه القاضي عياض، فقال: «وهذا عندي غير مسلم، لأننا لا نقول: إن النبي ﷺ اقتدى بأبي زرع، بل أخبر أنه لها كأبي زرع، وأعلم أن حاله معها مثل حال أبي زرع ذلك، لا على التأسي به، وأما القول بجواز التأسي بأهل الإحسان من كل أمة فصحيح، ما لم تصادمه الشريعة».

وبه انتهى التعليق على الكتاب، وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وآله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق، وفيها:	
من كتب من أهل العلم في شرح حديث «أم زرع»	٥
تعريف بكتابنا هذا	٧
عملي فيه	٩
ترجمة المصنف	١١
اسمه ونسبه وكنيته ولقبه	١٢
ولادته ونشأته وطلبه للعلم ورحلاته وشيوخه	١٢
تدريسه وتلاميذه	١٤
مدحه والثناء عليه ومعرفته بالفنون	١٥
مصنّفاته	١٥
وفاته	١٦
— رسالة «درّة الضرع لحديث أم زرع» —	
المقدمة	١٧
نص الحديث	١٩
تخريجه	٢٣

الصفحة	الموضوع
٢٥	الكلام على رفعه ووقفه
٢٧	أسماءهن
٢٨	قول الأولى
٣١	قول الثانية
٣٤	قول الثالثة
٣٦	قول الرابعة
٣٨	قول الخامسة
٤٠	قول السادسة
٤٣	قول السابعة
٤٦	قول الثامنة
٤٨	قول التاسعة
٥٠	قول العاشرة
٥٣	قول الحادية عشرة (أم زرع)
٧٢	كلام النبي ﷺ لعائشة
٧٣	فوائد الحديث

صدر حديثاً

الجامع للآداب

للمحافظ أبي عمر يوسف بن
عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

إعْتَمَدُ النّاشِر